منظومة القيم الأخلاقية في الشعر العربي بين القديم والجديد

الكلمات المفتاحية: منظومة القيم الأخلاقية، الشعر العربي القديم، معلقة عمرو بن كلثوم

أ.م.د اركان حسين مطير الصرايفي العبادي

جامعة بغداد – كلية الآداب

Algaedaa71@gmail.com

الملخص

تعد القيم الاخلاقية ركيزة اساسية في القيم الاجتماعية لكل مجتمع انساني وهي تعد مقومات السلوك العام والخاص على مستوى الفرد والمجتمع ، وتشكل تلك القيم نسبا متفاوتة في سلوكيات المجتمعات اعتمادا على البيئة والتاريخ والتطورات الضاغطة في ديمومة تلك القيم او اندثارها.. ومن خلال الاحصاء والجرد في المأثور الشعري العربي ، لاسيما والشعر لسان حال العرب وديوانهم ، فقد عبر الشعر تعبيرا دقيقا مضطردا عن ماهية تلك القيم الاخلاقية الراسخة في المجتمع العربي ازدهارا ونموا عبر مديات الزمن المختلفة.

ولأن أمة العرب امة ذات تاريخ عميق في الوجود الانساني، فتركت لنا ارثا اخلاقيا قائما على اضطراد القيم الاخلاقية المحمودة او الصفات الفاضلة ورفضا للصفات المذمومة او صفات الرذيلة الممقوتة من الانسانية جمعاء ، وشاعت تلك القيم مدحا وهجاءا وفخراً في اغراضهم الشعرية وصاحبتها قصصا وحكايات نقلت لنا صوره حقيقية لحياة المجتمع العربي..

ولعل معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي شاهداً حياً على منظومة القيم الأخلاقية التي تمثلها الشعر العربي، فهي حوت الكرم والشجاعة والإقدام وعزة النفس والصبر والتحدي واليأس والسماحة والتضحية، وغيرها، وسبر غورها الشعراء العرب في كل الأزمنة والعصور، حتى الشعر المعاصر واكب ونقل تلك القيم تأثراً وإيماناً بها مع اختلاف الحياة وتطورها.

المقدمة

تعد القيم الاخلاقية ركيزة اساسية في القيم الاجتماعية لكل مجتمع انساني وهي تعد مقومات السلوك العام والخاص على مستوى الفرد والمجتمع ، وتشكل تلك القيم نسبا متفاوتة في سلوكيات المجتمعات اعتمادا على البيئة والتاريخ والتطورات الضاغطة في ديمومة تلك القيم او اندثارها.. ومن خلال الاحصاء والجرد في المأثور الشعري العربي، لاسيما والشعر لسان حال العرب وديوانهم ، فقد عبر الشعر تعبيرا دقيقا مضطردا عن ماهية تلك القيم الاخلاقية الراسخة في المجتمع العربي ازدهارا ونموا عبر مديات الزمن المختلفة.

ولأن أمة العرب امة ذات تاريخ عميق في الوجود الانساني، فتركت لنا ارثا اخلاقيا قائما على اضطراد القيم الاخلاقية المحمودة او الصفات الفاضلة ورفضا للصفات المذمومة او صفات الرذيلة الممقوتة من الانسانية جمعاء ، وشاعت تلك القيم مدحا وهجاءاً وفخراً في اغراضهم الشعرية وصاحبتها قصصا وحكايات نقلت لنا صوره حقيقية لحياة المجتمع العربي..

وقد تناول البحث اجراءات منهجيه داخل المأثور الشعري العربي بحثا عن تلك القيم وانواعها واختلافاتها واوجهها وعبر تسلسل منهجي علمي اعتمد العام ثم الخاص وصولا للجزيئات والحيثيات المتنوعة لكل القيم الأخلاقية وكالاتي

دلالات الخلق او الاخلاق بشكل عام لا نتناول هنا التسلسل الزمني بل سنبدأ بكتاب الله ﷻ المقدس اجلالا واحتراما مع عودتنا لدلالات كل قيمة في المعاجم وفي المأثور الشعري بدءاً من عصر ما قبل الاسلام ونزولا للعصور الاخرى.

الخلق في القرآن الكريم:

وردت لفظة (الخلق) في القرآن الكريم بضم اللام وسكونها في آيات عديده منها:

أولاً: قوله تعالى: ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ**﴾[١]

ثانياً: قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [٢]

وفي تفسير الآية الثانية ذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي في تفسيره التبيان فقال: (وانك يا محمد ﴿**لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾، قال الحسن: على دين عظيم، وهو الاسلام . وقيل أدب القرآن

. وقال المؤرج: معناه على دين عظيم بلغة قريش . وقالت عائشة : كانت خلق النبيﷺ ما تضمنه العشر الاول من سورة (المؤمنون)، فالخلق المرور في الفعل على عادة، فالخلق الكريم الصبر على الحق وسعة البذل، وتدبير الامور على مقتضى العقل وفي ذلك الرفق والاناة والحلم والمداراة. ومن وصفه الله بانه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح)[٣].

أما سورة المؤمنون التي اشارت لها عائشة (رض) وآياتها العشر الاولى فهي: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۞وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ۞ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ۞ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۞ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ۞ أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ ﴾**[٤]، وذكر القرآن الكريم صفاتاً أخرى للمؤمنين تعد قيماً اخلاقية في المجتمع الاسلامي وهي جزء مهم من تركيبة السلوك الاسلامي المنضبط، وعليه فهي قيم اخلاقية عربية، وهي : **﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۞ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾**[٥].

وذكر معجم الفاظ القرآن الكريم دلالة الخلق: (الخلق وهي بمعنى السجية والطبع وما يجري عليه المرء من عادة لازمة) [٦] اما القرطبي فقد فسر اية الخلق في سورة الشعراء قائلاً: خلق الاولين: وقال ابن الاعرابي: الخلق الدين والخلق الطبع والخلق المروءة... وقال ابو جعفر ومنه الحديث عن النبيﷺ: (اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم حلقا)[٧] اي احسنهم مذهبا وعادة وما يجري عليه الامر في طاعة الله ﷻ ولا يجوز ان يكون من كان حسن الخلق فاجرا فاضلا)[٨].

اما في تفسيره لآية الخلق في سورة القلم فيقول: (قال ابن عباس ومجاهد: على خلق، على دين.. وحقيقة الخلق في اللغة: هو ما يأخذ به الانسان نفسه من الادب يسمى خلقا، واما ما طبع عليه من الادب فهو المخِيم (بالكسر) السجية والطبيعة.. وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه، يدل عليه قوله ﷺ : أن الله بعثني لأتمم مكارم الاخلاق وقيل : لأنه امتثل تأديب الله تعالى إياه بقوله تعالى: **﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ ﴾**[٩]... وعن أبي هريرة قال: سئل رسول اللهﷺعن أكثر ما يدخل

الجنة؟ فقال (تقوى الله وحسن الخلق)، وعن عبد الله بن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال: هو بسط الوجه وبذل المعروف، وكف الاذى . وعن جابر : ان رسول اللهﷺ قال: (إن من أحبكم إليّ واقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً) (١٠).

وعليه فالخلق في القرآن الكريم هو الدين العظيم، أو هو أدب القرآن أو ما ورد في سورة المؤمنين من خشوع في الصلاة واعراض عن اللغو والمفعلين للزكاة والحافظين لفرجوهم والراعين لأماناتهم وعهدهم والمحافظين على الصلاة، أو ما ورد في سورة آل عمران من صفات حميدة واجب الالتزام بها وهي الصبر والصدق والقنوت لله (وهنا حصر السؤال والطلب من الله فقط) والانفاق وهو (الكرم والجود والبذل...)، والاستغفار (طلب العفو والاعتذار)، او ما أضافه المفسرين فالخلق : الدين والطبع والسجية والمروءة وما يلزم طاعه الله والمتأدب بآداب القرآن، ثم هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى، وهذه هي حسن الخلق او الاخلاق..

ولا يخرج أهل المعاجم في العربية عن هذه الدلالات القرآنية ولاسيما ابن منظور الافريقي المصري في لسان العرب قائلاً: والخُلق والخَلق.. السجية. يقال: خالق المؤمن وخالق الفاجر. وفي الحديث: ليس شيء في الميزان اثقل من حسن الخلق، الخلق، بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما اوصاف حسنه وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة، ولهذا تكرر الاحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع ... ومنها قوله : (اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا . وقوله : بعثت لأتمم مكارم الاخلاق . وكذلك جاءت في ذم سوء الخلق ايضا احاديث كثيره . وفي حديث عائشة (رض) : كان خلقه القرآن، اي كان متمسكا به وبادابه واوامره ونواهيه وما يشمل عليه من مكارم والمحاسن والالطاف)(١١). بناء على هذا النص فان المعجم وافق ما ورد من دلاله او معنى للفظ الخلق في القرآن والتفاسير.

واذا تعددت مكارم الاخلاق وانواعها في القرآن الكريم والمعجم فهي في الشعر العربي كذلك ، فقد تناول الشعراء مجموع الاخلاق في نصوصهم ، وقد سجل الشعر تلك المكارم

فتجده يقول :

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بغاة الندى من اين تؤتى المكارم[١٢]

ولهذا شكل الشعر دوراً اجتماعياً في إرساء دور القيم الاخلاقية في المجتمع، والدور الاجتماعي للشعر يكمن في انه ينتظم امجاد القوم فيشكل مناراً ودليلاً لمن يريد ان يتابع سنن قومه في العلى والمجد[١٣].

وقد اتفق النقد والشعر في تحديد القيم الاخلاقية المقترنة بالفضائل او حسن الخلق فهي: (لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان ، على ما عليه اهل الالباب من الاتفاق في ذلك، انما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الاربع الخصال مصيباً، والمدح بغيرها مخطئاً)[١٤] فقدامة هنا قصر القيم على أربعة فضائل رئيسة وفرع منها تفرعات كثيرة فجعل ضمن العقل: ثاقبة لمعرفة والحياء، والبيان، والسياسة، والكفاية، والصدع بالحجة، والعلم، والحلم عن سفاهة الجهل، وغير ذلك مما يجري في هذا المجرى.

ومن أقسام العفة: القناعة، وقلة الشرة، وطهارة الازار، وغير ذلك مما يجري مجراه.

ومن أقسام الشجاعة: الحماية والدفاع، والاخذ بالثأر، والنكاية في العدو، والمهابة، وقتل الاقرآن، والسير في المهامة الموحشة، والقفار، وما أشبه ذلك.

ومن أقسام العدل: السماحة، ويرادف السماحة: التغابن، وهو من أنواعها: والانظلام، والتبرع بالنائل، وإجابة السائل، وقرى الأضياف، وما جانس ذلك)[١٥] ثم يضيف قدامه تراكيبا من تلك الأربعة الرئيسة.

ويوزعها على سته أقسام[١٦].

ثم يتناول نصاً لزهير بن أبي سلمى، فيقول: فقد وجد أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال لا بغيرها ، والبالغ فالتوجيد الى اقصى حدوده من استوعبها ولم يقتصر على بعضها ، وذلك كما قال زهير بن ابي سلمى في قصيدة:

اخي ثقه لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله

فوصفه في هذا البيت بالعفة لقلة امعانه في اللذات . وأنه لا ينفذ مالها فيها، وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه الى ذلك عن الذات، وذلك هو العدل، ثم قال:

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي انت سائله

فزاد في وصف السخاء منه بان جعله يهش له ، ولا يلحقه مضض ، ولا تكره لفعله ، ثم قال:

فمن مثل حصن في الحروب ومثله لإنكار ضيمٍ أو لخصمٍ يجادله

وأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل(١٧).

وذكر قدامه في باب نعت الهجاء اضداد الفضائل وهو يحل ابيات لاحمد بن يحيى وقبلها بيتا للسموأل قائلا: ومنها ما بان من معرفته بالفضائل حتى ميز صحيحها من باطلها، فسلم الباطلة ومنع الصحيحة، ومنها ان قطع عن هؤلاء القوم ما يعتذر به الكرام من قلة العدد، فان الكرام ابدا فيهم قلة كما قال السموال ابن عاديا:

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل

ومن خبيث الهجاء ما انشدني احمد بن يحيى:

ان يغدروا او يفجروا او يبخلوا لا يحفلوا

يغدوا عليك مرجلـ ين كأنهم لم يفعلوا

فمن جودة هذا الهجاء ان الشاعر تعمد اضداد الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم، ولأن الغدر ضد الوفاء، والفجور ضد الصدق، البخل ضد الجود، ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل، حيث قال:

يغدوا عليك مرجل ين كأنهم لم يفعلوا

لأن هذا الفعل انما هو من افعال اهل الجهل والبهيمة والقحة التي هي من عمى القوى المميزة)[١٨]. ومع ان قدامة في نقده وتحليله للفضائل واضدادها قدم فهما اوليا لتلك القيم عند العرب، فهو قد اغفل قيما ودلالات اوسع في مساحة منظومة القيم العربية، نحو معلقة عمرو بن كلثوم ومطلعها:

الا هبي بصحبك فاصحبينا ولا تبقى خمور الاندرينا[١٩]

فأنها تحوي مجموع الفضائل العربية أو منظومة القيم الاخلاقية جميعها بدءاً من قوله:

بيوم كريهةٍ ضربا وطعنا اقربه مواليك العيونا

يوم كريهة اسم لشدة الباس في الحرب، وهو إشارة إلى شجاعتهم في الحرب، وأبيات التحدي والإقدام تتمثل في قوله:

أبــا هنــد فــلا تعجــل علينــا وانظرنــــا نخبـــرك اليقينـــا
بأنــا نـــورد الرايـــات بيضـــا ونصـــدرهن حمـــرا قـــد روينـــا
وأيـــام لنـــا غـــرٍ طـــوالٍ| عصـــينا الملـــك فيهـــا ان نـــدينا

ثم يصف مشهدا حربيا:

وقـد هـرت كـلاب الحـي منـا | وشـــذبنا قتـــادة مـــن يلينـــا
متـــى ننقـــل الـــى قـــومٍ رحانـــا يكونـــوا فـــي اللقـــاء لهـــا طحينـــا

حتى يوظف المجد لفظاً في الدلالة على مجموع الفضائل قائلاً:

ورثنـــا المجـــد قـــد علمـــت معـــد نطـــاعن دونـــه حتـــى يبينـــا

....

كـــان ثيابنـــا منـــا ومـــنهم خضـــبن بـــارجوان او طلينـــا
بفتيـــان يـــرون القتـــل مجـــدا وشـــيب فـــي الحـــروب مجربينـــا

ثم يخوض في فضائل متنوعة من قوله:

وعتابـــا وكلثومـــا جميعـــا بهـــم نلنـــا تـــراث الاكرمينـــا

أو قوله:

ونوجـــد نحـــن امـــنعهم ذمـــارا واوفـــــاهم اذا عقـــــدوا يمينـــــا

فالمتعة: الصلابة ثم الوفاء ...

او قوله:

ونحـــن غـــداة اوقـــد فـــي خـــزازٍ رفـــدنا فـــوق رفـــد الرافـــدينا

والرفد هو الكرم او الجود ثم يتطرق الى الصبر في قوله:

ونحـــن الحابســـون بـــذي اراطـــى تســـف الجلـــة الخـــور الـــدرينا

ثم يتناول قيما تفخر بها الامم والجماعات في قوله:

ونحـــن العاصـــمون اذا اطعنـــا ونحـــن العـــازمون اذا عصـــينا
ونحـــن التـــاركون لمـــا ســـخطنا ونحـــن الآخـــذون لمـــا رضينـــا
وكنـــا الايمنـــين اذا التقينـــا وكـــان الايســـرين بنـــو ابينـــا
فصـــالوا صـــولة فـــيمن يلـــيهم وصـــلنا صـــولة فـــيمن يلينـــا
فـــآبوا بالنهـــاب وبالسبايـــا وأبنـــا بـــالملوك مصـــفدينا

ثم يذكر قيما اخرى منها: العصمة – المنعة ، والبذل –الكرم، والأنعام للطيبين والهلاك للآخرين وهكذا.. والشاربون صفوا من عزة النفس ويأبون الكدر ويعني الذل فيقول:

وقـد علـم القبائـل غيـر فخـرٍ إذا قبـــب بأبطحهـــا بنينـــا
بأنـــا العاصـــمون بكـــل كحـــلٍ وأنـــا البـــاذلون لمجتدينـــا
وانـــا المنعمـــون اذا قدرنـــا وانـــا المهلكـــون اذا اتينـــا
وانـــا الشـــاربون المـــاء صـــفوا ويشـــرب غيرنـــا كـــدرا وطينـــا

حتى استعمل قرى الضيف، عاجلناكم بالقتل، مثلما يعجلون ضيفهم بالقرى والسخاء والكرم قائلا :

نــزلتم منــزل الأضــياف منــا فعجلنـــا القـــرى ان تشـــتمونا
قرينـــا كـــم فعجلنـــا قـــراكم قبيـــل الصـــبح مـــرداة طحونـــا|

وتستمر معلقة ابن كلثوم في تعداد الفضائل بمساحة قيم اخلاقية عديدة تجاوزت ما ذكره قدامه بن جعفر، وللمقارنة بين القديم والجديد ان جنودنا الابطال وحشدنا المقدس وهم يحاربون داعش الارهابي استعملوا سياق او تركيب (اله طحين) وهو مستمد من معلقة ابن كلثوم في بيتين هما :

متى ننقل الى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا

وقوله :

قرينا كم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

وهو استلهام بطولي لقيم الشجاعة والاقدام والمنعة والبطولة من الاجداد واذا كان عمرو بن كلثوم الثعلبي تناول القيم الاخلاقية في قصيدة أو نص طويل ، فان أبا تمام الطائي جمعها في بيت شعري واحد قائلا :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس[٢٠]

وبهذا فان الشعر سجل بما يقبل الشك منظومة القيم الاخلاقية في المجتمع العربي قبل ان تسود تعاليم الدين الاسلامي وهي قيم تعد مفخرة سلوكية لمن يتتبع المجتمع العربي واصالة حياته ومتانة علاقاته الاجتماعية القديمة.

ومن المعاصرين الذي اشار الى مجموع الفضائل معروف الرصافي في بيت شعري قائلا:

هذي لدى العرب الكرام مبادئ نزلت بها الآيات في قرآنها[٢١]

وأن تلك القيم تشكل رقماً كبيراً لا يمكن الإلمام به والإحاطة بمضامينه كاملة في بحث صغير فأقتصر فيما يتبع على قيمة واحدة فقط هي الكرم والتي تعد اهم القيم الاخلاقية عند العرب.

الكرم:

لقد وردت لفظة الكرم في القرآن الكريم بصور شتى اشتقاقاً ومسميات أخرى نحو: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾[٢٢] اي منعم متفضل، جواد لا ينفذ جوده[٢٣]. وبالدلالة نفسها قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ**﴾ [٢٤] وآيات اخرى[٢٥].

وفي اشتقاق اخر ورد الاكرم ومنها: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾[٢٦]،﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٢٧] والاكرم: اسم تفضيل من كرم معناها الاشرف او الاشد تفضلا والاكرام: مصدر اكرم وهو الجود والاحسان او التكريم والتعظيم[٢٨]، نحو: ﴿**تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾[٢٩] .

ومن اشتقاق مكرم ومكرمة ومكرمون وغيرها..... [٣٠].

وفي التفسير لا يخرج المعنى الى معنى اخر فالكريم في انعامه على خلقه[٣١].

واجر كريم: وهو ما يفعله الله على وجه الاحلال والاكرام ، وقيل الاجر الكريم: الجنة[٣٢] وهكذا...

اما المعاجم فابن منظور يقول: الكريم : من صفات الله واسمائه ، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم المطلق . الكريم : الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. والكريم : اسم جامع لكل ما يحمد ، فالله ﷻ كريم حميد الافعال ورب العرش الكريم العظيم . ابن سيدة : الكرم نقيض اللؤم يكون في الرجل نفسه .... والكريم : الصفوح .. والمكرم : الرجل الكريم على كل احد)[٣٣]... هذا في دلالات الكرم قرآناً وتفاسيراً ومعجماً... أما في الشعر فإن شواهدنا السابقة في مجموع الفضائل أو القيم الاخلاقية عموماً فإنها تضمنت الكرم فضيلة أو قيمة أخلاقية، ولدعم الحجج في مضمون الكرم العربي شعراً نستشهد بالآتي:

قول زهير[٣٤]:

وابـــيض فيـــاضٍ يـــداه غمامـــةٌ علـــى معتفيـــة مـــا تغـــب فواضـــله
بكـــرت عليـــه غـــدوة فرايتـــه قعـــودا لديـــه بالصـــريم عواذلـــه
يفدينـــه طـــورا وطـــورا يلمنـــه فاعيـــا فمـــا يـــدرين ايـــن مخاتلـــه

فاعرضــن عنــه عــن كــريم مــرزأٌ جمــوع علــى الامــر الــذي هــو فاعلــه
تــــراه اذا مـــا جئتـــه مـــتهللا كأنـــك تعطيـــه الـــذي انـــت ســـائله

فيطور النص ابو تمام في صورة شعرية مليئة بالعاطفة ومليئة بالدلالات والتشبيهات والاستعارات . فيجعله نصا ثريا ، قائلا[٣٥] :

تعــود بســط الكــف حتــى لــو انــه ثناهــا لقــبض لــم تطعــه انملــه
تــــراه اذا مـــا جئتـــه مـــتهللا كانـــك تعطيـــه الـــذي انـــت ســـائله
هــو البحــر مــن اي النــواحي اتيتــه فلجتــه المعــروف والجــود ســاحله
ولــو لــم يكــن فــي كفــه غيــر روحــه لجـــاد بهـــا فليتقـــي الله ســـائله

ومن أسباب الحياه المقترنة بقيمة الكرم . هو الفقر الناتج عن البخل وعدم عدالة توزيع الثروات في بلاد العرب ، فنشأت اثر ذلك حركة الصعاليك التي تحارب الفقر . فيقول عروة بن الورد[٣٦]:

اذا المــرء لــم يبعــث ســواما ولــم يــرح عليــه ولــم تعطــف عليــه اقاربــه |
فللمـــوت خيـــر للفتـــى مـــن حياتـــه فقيـــرا ومـــن مـــولى تـــدب عقاربـــه

وهكذا فان عروه يقرر ان السعي في طلب الرزق يريح المرء من عناء الجوع وحياه الذل والحرمان وتتميز غارات عروه بانها عادله ، فهو لا يهاجم غني يؤدي الحقوق للفقراء المحتاجين ، وبين غني لا يراعي حقوق الناس ، ولهذا يهاجم الاغنياء البخلاء ومنهم رحل من كنانه بن خزيمة انه من ابخل الناس واكثرهم مالا ، فيهاجمه ويأخذ من ماله ليوزعه على الفقراء[٣٧]، فقال..

ما بالثراء يسود كل مسودٍ مثرٍ ولكن بالفعال يسود[٣٨]

فعروة في غزواته يقسم الغنائم على الفيراء والمساكين ويجعل طعامه مشتركا بينه وبين عائلته وبينهم ، قائلا[٣٩]:

انـــي امـــرؤ عـــافي انـــائي شـــركة وانـــت امـــرؤ مـــا فـــي انائـــك واحـــد |
افـــرق جســـمي فـــي جســـومٍ كثيـــرة واحســـو قـــراح المـــاء والمـــاء بـــارد

وعكس ما كان عروة في توزيع الغنائم على الفقراء، نجد شاعرا معاصرا هو الرصافي

في هجاء للذين يصرفون أموالهم على المجون والذات ولا يمنحون الفقراء جزءا منها فيقول:

كم بذلتم اموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه
وبخلتم منها بحق الله ايها الموسرون انتباه

افتدرون انكم في تباب (٤٠)

وقد ورد الكرم بمترادفات عديدة من اشهرها الجود وقرى الضيف، والسماحة، والسخاء، والبذل، والاجارة وغيرها، ومما شاع في الشعر العربي الجود ومنه قول مسلم بن الوليد:

يلقى المنية في امثال عدتها كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
تجود بالنفس اذ انت الضنين بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود(٤١)

وفي الجود ايضا يقول الحسين بن مطير الاسدي في رثاء معن بن زائدة الشيباني قائلا:

فيا قبر معن كنت اول حفرة من الارض خطت للسماح وموضعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى واصبح عرنين المكارم اجدعا(٤٢)

وفي قرى الضيف قال زياد بن كثوة:

الى معشر شم الانوف قراهم اذا نزل الاضياف من قمع الجزر(٤٣)

اما الاجارة فهي اجارة الدخيل ويقول فيها الفرزدق:

وكان يجبر الناس من سيف مالك فاصبح يبغي نفسه من يجيرها(٤٤)

وعند المتنبي يقترن الكرم بالامتلاك عكس اللؤم فيقترن بالتمرد فيقول بيته المشهور:

اذا انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا (٤٥)

وعند الشريف الرضي الكرامة اهم من المال فيقول:

مدحت امير المؤمنين وانه لأشرف مأمول واعلى مؤمم
فأوسعني قبل العطاء كرامة ولا مرحبا بالمال ان لم اكرم(٤٦)

وبهذا كان الكرم صفة ملازمة لحياة العربي في العصور القديمة قبل الاسلام،

والعصر الاسلامي والاموي والعباسي وحتى العصور المتأخرة وفي عصرنا الحديث، برزت ظاهرة الكرم في ملامح جديدة غير مألوفة البتة وهي ظاهرة رعاية زائري الامام الحسين (عليه السلام) في الزيارات المليونية والتي يقول فيها الشيخ احمد الوائلي في رثاء الامام الحسين عليه السلام :

أيــا واهبــا اعطــى الحيــاة بنهجــه اذا لزهـــا الاعنـــات نهجـــا مســـددا
وعلمنـــــا ان الفـــــداء فريضـــــة اذا افتقــر العــيش الكــريم الــى الفــدا[٤٧]

ويقول شاعر معاصر يلصق قيمة الكرم بالوطن:

كريم انت يا وطني لأني
على اديمك لا اذلُ

وعليه فالأخلاق ومنها الكرم هي من سلوكية سادة المجتمع العربي، وعبر عنها الشعر تعبيراً مضطرداً، ناقلاً لنا صور الحياة العربية بقيمها الاخلاقية وعلاقاتها السلوكية كافة.

وتعدد وتتنوع متناولات الكرم وصوره لدى الشاعر الدكتور عبد الكريم راضي جعفر، فمرة يكون الكرم حلماً في وطن قائلاً:

رأيته يوزع الماءَ
على ملا مزية ؛
ولا مزية ؛
وجارحية ؛
ونازفية ؛
ويحرم الصيام
فأين جودك الذي حلمت فيه مرة ؟!!
وأين مسكك النبي والندى ،
الذي حلمتُ فيه مرة ؟!! [٤٨]

منتقلاً إلى صورة أخرى وهو يخاطب الشهيد قائلاً :

تلتقف النار دم

الخاتمة :

وبهذا نخلص الى ان القيم الاخلاقية متنوعة وعديدة عند العرب وهي تمثل ركيزة سلوك الانسان العربي وشغلت مساحة كبيرة من ديوان الشعر العربي مدحاً وهجاءاً وفخراً وهي تلك الاغراض الشعرية المعروفة منذ القدم واستمرت الى يومنا هذا في الشعر المعاصر مع تغيير بعض التفاصيل والجزئيات تأثراً بالحياة وتطوراتها.

وكثرت الأخلاق على لسان الشعراء العرب ولا تكاد تخلو قصيدة في الشعر العربي إن لم تتضمن قيماً أخلاقية، وتمثل معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي أنموذجاً حياً لمضامين القيم الأخلاقية السائدة عند العرب في عصر ما قبل الإسلام ، وبموازاتها وفي كل العصور اللاحقة توزعت القيم الأخلاقية للشعر العربي واضطردت كمقومات فكرية أو مضامين حياة ووجود، حتى زماننا المعاصر وإن اختلفت الحياة وسلوكياتها، ولكن القيم الأخلاقية والفضائل استمرت وبالصورة نفسها وانعكست في الشعر المعاصر.

Abstract

The system of ethical values in the Arabic poetry between the old and modern

Keywords:
(System of ethical values, old Arabic poetry, Mu'allaqat of Amr ibn Kalthum al-Tagalbi, new Arabic poetry, generosity)

Prof. Dr. Arkan Hussain Mutair Al Sraifi Alabadi Assist

University of Baghdad-College of Arts

Ethical values are a fundamental pillar of the social values of every human society and are the determinants of public and private behavior at the level of the individual and society, and these values represent varying proportions in the behavior of societies based on the environment, history and the pressing developments in the perpetuation or extinction of those values. Through statistics and inventories in the Arabic poetry proverbs, especially the poetry is the tongue of the state of the Arabs and their Diwan, the poetry has expressed a precise expression of what those established moral values in the Arab society are flourishing and growing over different ranges of time .

Because the Arab nation has a profound history of human existence, it has left us with a moral legacy based on the steady of laudable moral values or virtuous qualities and a rejection of the blameworthy qualities or bad, rejected

characters by humanity as a whole, and these values are popularized in praise, satire and pride in their poetic purposes and accompanying with stories and tales that have conveyed to us a true picture of the life of the Arab society.
Perhaps Mu'allaqat of Amr ibn Kulthum Al Taqlubi, a living witness to the system of moral values represented by Arab poetry, contained of generosity, courage, boldness, self-esteem, patience, endurance, despair, tolerance, sacrifice, etc., and the cause of the poets go deep in of all times and ages, even contemporary poetry accompanied and transported these values are influential and believing in them with different life and evolution.

الهوامش:

(١) سورة الشعراء: ١٣٧.

(٢) سورة القلم: ٤

(٣) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي: ١٠-٦٥.

(٤) سورة المؤمنون: (١-١٠)

(٥) سورة آل عمران: (١٦-١٧)

(٦) معجم الفاظ القرآن الكريم: ١٨٧/٢.

(٧) صحيح الترمذي: (١١٦٢-٢٦١٢)؛ ابو داود:(٤٦٨٢)؛ صحيح احمد: (٧٣٥٤)؛ وصححه العلامة الالباني في صحيح الجامع: (١٥٧٨)، ١٩٩٠؛ وصحيحي الترغيب والترهيب: (١٩٢٣، ٢٦٤٦، ١٦٦٠)؛ والمشكاة: (٥١٠١). نقلاً من تفسير القرطبي.

(٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩٠/١٣.

(٩) الاعراف: ١٩٩.

(١٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/(١٥٩-١٦٠)

(١١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (خلق): ١٤٠/٥.

(١٢) الديوان: ٩٢/٢.

(١٣) مقدمة ديوان ابي تمام، د. محيي الدين صبحي: ٦٠.

(١٤) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٦٥-٦٦.

(١٥) المصدر نفسه: ٦٧-٦٨.

(١٦) نفسه: ٦٨.

(١٧) نفسه: ٦٧.

(١٨) نفسه: ٩٣-٩٤.

(١٩) شرح المعلقات، القصائد العشر: ٢١٧.

(٢٠) الديوان: ٣٦٨/١.

(٢١) ديوان الرصافي: ٣١/٢.

(٢٢) سورة النمل: ٤٠.

(٢٣) معجم ألفاظ القرآن الكريم: ١٤١/٥.

(٢٤) سورة الحاقة: ٤٠.

(٢٥) سورة الانفال: ٤٠؛ الشعراء: ٢٣و٥٨؛ النساء: ٣١؛ يس:١١.

(٢٦) سورة العلق: ٣.

(٢٧) سورة الحجرات: ١٣.

(٢٨) معجم ألفاظ القرآن: ٥/(١٤١-١٤٢).

(٢٩) سورة الرحمن: ٧٨.

(٣٠) المعجم: ١٤٢/٥.

(٣١) التبيان، الطوسي: ٧٥/٨.

(٣٢) المصدر نفسه: ٣٣٩/٨.

(٣٣) لسان العرب، مادة (كرم): ١٣/ (٥٤-٥٥).

(٣٤) الديوان: ١٣٩-١٤٢. (شرح ديوان زهير).

(٣٥) شرح ديوان ابي تمام: ١٥/٢.

شرح ديوان ابي تمام، للخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الاسمر، اما في طبعة دار صادر لا يوجد البيت الثاني (تراه إذا ما جئته متهللا..) والبيت الثالث هو اليم وليس هو البحر واختلاف في الترتيب.

(٣٦) شرح ديوان عروة بن الورد ، ابن السكيت: ٩٩.

(٣٧) ينظر: عروة حياته وشعره، د. ابراهيم شحاذه: ١٧٨.

(٣٨) المصدر نفسه: ٨٧.

(٣٩) نفسه: ٨٨.

(٤٠) ديوان الرصافي: ٨١/٢.

(٤١) شرح ديوان صريع الغواني، مسلم بن الوليد: (١٥٩-١٦٤).

(٤٢) البيان والتبيين: ١٥٧/٣.

(٤٣) المصدر نفسه: ٦/٤.

(٤٤) نفسه: ١٧٢/٣.

(٤٥) الديوان: ١١/٢.

(٤٦) الديوان: ٨٣٣/٢.

(٤٧) الديوان: ١١٠.

(٤٨) كلمات مستباحة، علي فرج: ١٢.

المصادر

القرآن الكريم

i. البيان والتبيين، ابي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

ii. التبيان في تفسير القرآن، لابي جعفر محمد بن حسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: احمد حبيب العاملي، تصحيح: مركز الامام الحسن المجتبى (عليه السلام)، الاميرة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

iii. الجامع لاحكام القرآن، لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، مكتبة الصفا، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م).

iv. ديوان ابي تمام، تقديم وشرح: د.محيي الدين صبحي، دار صادربيروت،ط١، ١٩٩٧م.

v. ديوان احمد الوائلي، شرح وتدقيق: سمير شيخ الارض، الناشر: محمد علي اليوسفي، ط١، ٢٠١٢م.

vi. ديوان الرصافي، شرح وتعليق: مصطفى علي، وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ط١، ١٩٧٥م.

vii. ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، ١٩٦١.

viii. ديوان الفرزدق، شرح: الصاوي، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

ix. ديوان الفرزدق، شرح: د.عمر فاروق الطباع، دار الارقم، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

x. شرح ديوان ابي تمام، للخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الاسم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.
xi. شرح ديوان زهير بن ابي سلمى، صنعه: الامام ابي العباس ثعلب، تحقيق: احمد السعداوي، دار الكتب المصرية، مصر، ١٩٤٤م.
xii. شرح ديوان صريع الغواني، مسلم ابن الوليد الانصاري(ت٢٠٨هـ)، تحقيق: د. سامي الدهان، دار المعارف (ضمن ذخائر العرب:٢٦)، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.
xiii. شرح ديوان عروة ابن الورد ضمن خمسة دواوين العرب، ابن السكيت، المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٩٣هـ.
xiv. شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٣٠م.
xv. شرح المعلقات القصائد العشر، للخطيب ابي زكريا يحيى التبريزي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.
xvi. عروة ابن الورد حياته وشعره، د. ابراهيم شحاذه الخواجه، المنشأة الشعبية، ليبيا، ط١، ١٩٨١م.
xvii. لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م.
xviii. معجم الفاظ القرآن الكريم، اشراف المجمع اللغوي في القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٩٦م.
xix. نقد الشعر، قدامة ابن جعفر (ت٣٣٧هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٨م.
xx. كلمات مستباحة، علي فرج، مجموعة رقمية.